التغير الميثولوجي في عصر الرسالة ودوره في دوافع حركات الردة

الأستاذ المساعد الدكتور

علي غانم جثير / جامعة البصرة

إن السؤال المركزي الذي كان محركا لهذا البحث هو لماذا كان معظم إن لم يكن كل زعماء حركات الردة القوية والمؤثرة من الكهنة مثل عبهلة بن كعب العنسي ومسيلمة بن حبيب الحنفي وسجاح التميمية وطليحة بن خويلد الأسدي ؟ ، قطعا أن الأمر لم يكن محض صدفة بل كانت له مبرراته ، خاصة أن الزعامة في المجتمع العربي قبيل الإسلام كانت لزعماء القبائل وليس للكهنة الذين يأتون بالمرتبة الثانية في السلم الاجتماعي العربي[١] ، فكيف تمكن هؤلاء من تَسيّد قبائلهم ؟ وما علاقته بالنجاح الذي حققه النبي محمد(ص) على الصعيد السياسي عندما أثبت من خلال النبوة أن الزعامة والملك لا تنحصر بزعماء القبائل وأنها يمكن أن تتسع لتشمل غيرهم من ذوي الإمكانيات الخاصة ، المستند بالأساس على التغير المثيولوجي[٢] الذي أحدثه القرآن الكريم كمنظومة تصورية أزاحت المنظومة التصورية قبله وحلت محلها ؟ .

يبدو أن الدراسات التي اهتمت بحركات الردة ودوافعها لم تتطرق لهذا الدافع من قريب أو بعيد ، وركزت فقط على عوامل أخرى كضعف الإيمان والنزعة القبلية والتحلل من الالتزامات المالية (الصدقات) ، ولكن مثلما كانت هناك بنية تحتية لها حضورها المؤثر في قيام هذه الحركات كان هناك وعلى نفس المستوى أيضا بنية فوقية . نقصد بها التغير المثيولوجي . كانت بمثابة المدخل الذي دخل من خلاله زعماء الردة لإضفاء الشرعية على حركاتهم مستثمرين نجاح النبي محمد(ص) في تثبيت فكرة جواز النبوة في العرب من جهة ، ومكانة الكهانة عند العرب من جهة أخرى عبر إقامة تناظر بينهما ، ستتكفل الدراسة ببيان تفاصيل ذلك .

يمكن القول إن العرب قبيل الإسلام كانوا يعتقدون بالمصدر السماوي لديانتهم بدلالة ما جاء على لسانهم في سورة الأعراف (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ(٢٨) ، فمشروعية ديانتهم تستمد وجودها

وفقا لهذه الآية من حالة الاقتران بين قِدَمها كمأثور عن الآباء يمتاز بالهداية واجب الإقتداء وبين سماوية أحكامهم المنقولة عن الذات الإلهية ، لذا ينبغي أن نتساءل عن تصورهم فيما يتعلق بالوسيلة التي كانت تنقل لهم خبر السماء ، فهي ليست بوساطة الأنبياء قطعا إذ لم يُرسَل إليهم نبيٌّ من قبل (وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(القصص٤٦)[٣] ، ربما استنادا لاعتقادٍ كان راسخا بين العرب بأن النبوة ليست فيهم بدلالة ما ورد في آية الجن (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً(الجن٧) ، فقد ذكر بعض المفسرين أن كلا الأنس والجن ظنوا " أن لن يبعث الله أحدا رسولا إلى خلقه يدعوهم إلى توحيده "[٤] .

في محاولة الإجابة عن هذا السؤال علينا أن نستعرض أولا تصور العرب عن الوجود الذي يتبين من خلال دراسة مجمل الآيات القرآنية أنه ينطوي على ثنائية واضحة فمن زاوية مكانية اعتقدوا بتمركزه على قطبين مختلفين ولكنهما مترابطين ترابطا وثيقا ، هما السماء والأرض ، وأن القطب الأول لم يكن مدركا بصورة عينية إلا في شكله الخارجي/السماء الدنيا التي وإن كانت بعيدة لكنها مرئية . أما سلم الترتيب الوجودي في منظومتهم التصورية فيعطي الأولوية لله والملائكة/آلهتهم التي كانوا يعتقدون أنها في مرتبة وجودية واحدة مع الله في السماء استنادا لتصورهم بوجود رابطة الأبوة والبنوة بينهما مثلما نصت عليه بعض الآيات (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً...(الصافات١٥٨) ، (...وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ...(الأنعام١٠٠) ، ويدعم ذلك مبدأ الشرك والمفردات المتعلقة به كالعديل والند والمثل[٥] ، ثم يأتي الجن في المرتبة الثانية فقد كان العرب يعتقدون بأن الله (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ(الصافات١٥٣) ، حيث يتبين منها أن العرب تعتقد بأن الله اختار البنات على البنين[٦] أي الملائكة ، ولكن مَنْ هم البنون ؟ وماهية الاصطفاء ومبرراته ؟ .

لقد غاب الجواب المباشر عن هذا السؤال من القرآن الكريم ولكن يمكن أن نستفيد من آيات قرآنية تفيد بأن العرب كانت تعتقد بالجن مصدرا لمعرفتهم بخبر السماء مما يحمل مؤشرا على أن الجن لم يستقروا في السماء وإنما في الأرض أو في المجال بينهما ، وفقا للمعنى الدلالي والقرآني لكلمة أصطفى التي جاءت بثلاثة معانٍ : اختار ، نقى ، استخلص[٧] التي تتضمن معنى التفضيل والاحتكار . ولم نجد ما يشير لمبررات الإبعاد وأسبابه سوى ما يمكن أن نفهمه من قصة سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس الذي كان من الجن رغم أنها طُرِحَتْ كتصحيح قرآني لعقيدة المشركين في تأليه الملائكة وعبادتها لكنها تتوافق مع تصورات العرب بخصوص طرد الجن من السماء مما يجعل أمر الاستشهاد بها مقبولا ، حيث تفيدنا في القول بأن سبب الإبعاد عدم طاعتهم للذات الإلهية ، وقد جاء على لسان الجن في معرض التصحيح القرآني(وَأَنَّا ظَنَنَّا

أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا(الجن١٢) مما يؤكد أن مكانهم ليس في السماء ، وأن تَيَقنِهم من قدرة الله عليهم جاء لمعالجة تصور مناقض بين العرب الذين ربما اعتقدوا إما بقدرة الجن على الفرار من الله أو على متانة علاقتهم به ، وربما نظرا لارتكابهم جرما أو في أقل الاحتمالات إزعاجا أدى لطردهم واصطفاء الملائكة ، ولعل هذا المعتقد انعكس على إيمانهم بأن الجن أقل مرتبة من الملائكة وتعززه فكرة الاصطفاء .

وخلاصة القول أن العرب اعتقدوا أن الجن هم الذكور المبعدين من السماء ، وعلى هذا الأساس يبدو أنهم اتخذوا من المجال ما بين السماء والأرض مسرحا لنشاطهم ، فكانوا يقتربون من الأولى أو يهبطون نحو الثانية . لقد تمحور معنى كلمة (جن) من ناحية دلالية حول الشيء المستتر أو الأمر المخفي[٨] وهو يتناغم مع أمرين أساسين كنا راسخين في تصور الذهنية العربية عن طبيعة الجن حيث أنهم لا يظهرون للعيان من جهة ، وأنهم ينقلون خبر السماء وهو خبر مستترٌ وخفيٌ على البشر من جهة ثانية ، لذا كان من بين أعمالهم على ما يظهر الاستماع لخبر السماء حتى كانت لهم مقاعد خاصة ، فجاء في آية الجن (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً(٩) ، وآية الشعراء (يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ(٢٢٣)[٩] .

أما في الأرض فهناك طبقة الكهنة الذين كانوا بمثابة الوسيط بين الجن والبشر الذين كانوا دائما بحاجة إلى الطرف الفوقي لذلك كان يتوددون إليه ومولهين به . وقد قال ابن منظور بأن العرب كانت تسمي " كل من تعاطى علما دقيقا كاهنا"[١٠] ، ثم عرف الكاهن بأنه الشخص " الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار"[١١] . وقد ورد ذكر الكاهن في القرآن الكريم في معرض نفي تهمة الكهانة عن النبي محمد(ص) (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ(الطور٢٩) ، أو نفي أن تكون الآيات القرآنية من أقوال الكهان مثلما ورد في آية الحاقة (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ(٤٢) ، مما يشير لقيمة الكهان في المجتمع العربي قبيل الإسلام لقدرتهم على بلورة الأفكار في قوالب بلاغية تسترعي انتباه السامعين فيما عرف عند العرب بالسجع .

وقد أشارت بعض الآيات القرآنية لوجود صلات بين الجن والكهنة مثلما جاء في بعض آيات الشعراء (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ(٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ(٢٢٣) ، التي أكد المفسرون أن المقصود بالأفاك الأثيم هم الكهنة[١٢] ، وقد ورد في سورة الجن (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً(الجن٦) ، فالعائذ هو اللاجئ أو اللائذ ، " فعذت بفلان واستعذت به أي لجأت أليه "[١٣] ، فلأي شيء كان الإنسان يلجأ للجن سوى لمعرفة خبر السماء المجهول لديهم ، ومما يرجح هذا المعنى أن الآية

وردت في سياق الحديث عن هذا الموضوع ، وقد ورد في صحيح البخاري عن النبي(ص) أن الشياطين كانت تسترق السمع قبل الإسلام وتلقي الأخبار للكهنة[١٤] ، ولأبن عباس(ت٧٨هـ) رأي مماثل[١٥] .

وربما تشير بعضُ الآيات القرآنية لاعتقاد العرب بوجود حالة التعاون والاتصال بين الجن والكهنة مثلما ورد في مجموعة من آيات سورة الأنعام :

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ...(٩٣)[١٦] .

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (الأنعام١١٢)[١٧] .

(وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أولياؤهم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ...(الأنعام١٢٨)[١٨] .

التي إن دققنا فيها سنجد قاسما مشتركا ، فالآية الأولى تتحدث عن مَنْ يَدعي نزول الوحي عليه كذبا ، والثانية عن القول المزين المنمق الذي يوحي به الجن للكهنة ، والثالثة عن ظاهرة الاتصال بين الإنس والجن ، وأكثر المرشحين للعب هذا الدور هم الكهنة الذين كانت لديهم مقدرة بلاغية تؤهلهم للقيام بمحاولة تقليد القرآن ومحاكاته .

وإذا كانت الآيات القرآنية قد أشارت للدور الكبير الذي أضطلع به الكهنة في تقديم تصورات للناس على أنها صادرة من قوى علوية هي الآلهة ، فإن كتب السيرة النبوية ذكرت لنا شيئا من أخبارهم وأسماء بعضهم فكانت وظيفتهم على ما يظهر البت وحل الخلافات المستعصية فقد أقترح بعض القريشيين على عبد المطلب أن يذهب لكاهنة في خيبر لها تابع لحل مشكلة نذره[١٩] ، ولعب الكاهن الخزاعي دورا في حسم الخلاف الذي عُرِض عليه بين هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس[٢٠] ، وحدث الشيء نفسه لسويد بن الصامت في منافرته مع رجل من بني سليم عندما عرضا قضيتهما لكاهنة من كهان العرب[٢١] ، ولدينا في خلاف هند بنت عتبة مع زوجها الفاكهة بن المغيرة المخزومي دليلٌ آخر حيث ذكرت المصادر أنها سافرت هند وزوجها وبعض أقربائهما إلى أحد الكهنة لحسم الخلاف[٢٢] .

وما دمنا بصدد الحديث عن وظيفة الكهان فقد ارتبطت على ما يبدو بتفسير الرؤى والأحلام عندهم ، ويتجلى ذلك بوضوح في روايات ابن هشام التي تتحدث عن دور الكاهنين شق وسطيح

في تفسير رؤيا ربيعة بن نصر أحد التبابعة الذي لم يُبقِ كاهنا ولا عائفا ولا ساحرا إلا جمعه لغرض تأويلها[٢٣] ، لأن قسما من الكهنة كان يمتلك القدرة على استشراف المستقبل من خلال الرؤى ولعل هذا الارتباط بين الكهانة وتعبير الرؤى هو السبب الذي دفع بعض المشركين لتحقيل النبوة ضمن الكهانة ، فقد ذكرت المصادر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب قبيل معركة بدر التي يمكن أن نلاحظ فيها باهتمام قول أبو الحكم للعباس بن عبد المطلب بعد أن شاعت الرؤيا " يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم "[٢٤] ، فهناك إذن رابطة قوية بين الرؤى والنبوة حيث كانوا يعتقدون أن الوحي يأتي عبر الرؤى ومن خلالها فهي واسطة الاتصال بالكائنات العلوية لذلك قالوا عن الوحي (...أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ(الأنبياء٥) .

مما تقدم نلاحظ أن للكهنة منزلة رفيعة في المجتمع ربما لأنهم يمثلون مصدرا لتصوراتهم الدينية ، أو قضاةً يحلون مشاكلهم التي كانوا يرونها مستعصية ، ومن الطبيعي أن يكون رد فعلهم سلبيا على الدعوة الجديدة ، فالغالب على الظن أنهم نظروا للنبي(ص) منافسا يخرق سلطتهم ويتحداها .

وعندما حاول زعماء المشركين فهم وتفسير ظاهرة النبوة كان مقياسهم الأول الظواهر التي كانوا يعتقدون أنها قريبة منها كالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ففي معرض تفسير آيات المدثر(١٨.٢٥) ذكر بعض المفسرين ومؤرخي السيرة النبوية محاولات زعماء المشركين تدارس أمر النبوة وتفسيرها وفقا للمعطيات المعرفية المتوفرة لديهم وكان الوليد بن المغيرة المخزومي مدير النقاش ومحوره ، حيث بدأ مسألتهم : " ما تقولون في هذا الرجل ؟ قالوا : نقول إنه شاعر . فعبس عندها وقال : قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر . فقالوا : نقول إنه كاهن . قال : إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة . قالوا : نقول إنه لمجنون . فقال : إذا تأتونه فلا تجدونه مجنونا . قالوا : نقول : إنه ساحر . قال : وما الساحر ؟ فقالوا : بشر يحببون بين المتباغضين ، ويبغضون بين المتحابين . قال : فهو ساحر "[٢٥] .

إن مجرد محاولتهم تصنيفهم الظاهرة وفقا للمسميات المذكورة يكشف عن قيمتهم في المجتمع العربي ، ولكنه في نفس الوقت يشير لقيمة النبوة كأعلى منها لأنهم كانوا يريدون صرفها عن النبي(ص) بأي شكل آخر غير النبوة ، بما يخدم مصالحهم ، ووفقا لخبراتهم المكتسبة التي لم تتعدَ معرفتهم بظاهرة الكهانة والسحر والشعر والجنون لارتباطها حسب اعتقادهم بقوى خفية كالجن ، أما أمر النبوة أو البشر كمرسل من السماء فلم يكن ضمن منظومتهم المعرفية والتصورية ، خاصة انه لم يكن للعرب أنبياء من قبل . وربما أن الشاعر والكاهن والساحر

متقاربون من حيث الوظيفة لأنهم يعتمدون على الوسيلة نفسها وهي اللغة المسجوعة والكلام المقفى ، ويقومون بالطريقة نفسها التي تعتمد على التمويه والتصوير وتقديم معطيات عاطفية ليست ذات قيمة حقيقية عن الأشياء .

كما يتضح من دراسة الآيات القرآنية أنهم نظروا للنبوة من زاوية معيار التفاضل الإجتماعي الذي كان سائدا بينهم ألا وهو المال(الثروة) والبنون(القبيلة) ، لذلك اعتقدوا بأحقية بعض زعمائهم للنبوة على أساس المنزلة الاجتماعية ولاسيما في جانبها المادي والقبلي أكثر من النبي(ص) نفسه (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (الزخرف٣١)[٢٦] ، وهو إن دل على شيء فأنه يدل على عدم استيعابهم لظاهرة النبوة خارج إطار منظومتهم الميثولوجية ، رغم أن هذه النظرة كانت وليدة مرحلة الصراع وليس عن فكرة سابقة .

أما العامل الذي ساعد على رسوخ هذا التصور الميثولوجي وتعزيزه في العقلية العربية آنذاك وعدم تقبلهم لظاهرة النبوة ، فهو التصور الذي أشاعه أهل الكتاب ولاسيما اليهود بخصوص النبوة حيث كانوا يعتقدون بأنها حكرا عليهم ، والظاهر أن التوراة تحمل نصا يبدو أنه الأساس الآيديولوجي الذي كان في ضوئه يُشيع أهل الكتاب أفكارهم بين العرب عن احتكار النبوة ، وهو عبارة عن خطاب إلهي لنبي الله إبراهيم " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد واجعله امة كبيرة . ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية "[٢٧] ، أي أن كثرة النسل لإسماعيل بينما حُصِرت النبوة بإسحاق ، وعلينا أن نضع في الاعتبار طبيعة تصور اليهود ونظرتهم للعرب على أنهم أبناء الأَمة/ الجارية ، حيث لا يمكن لابن الأَمة أن يكون نبيا في وسط ثقافي واجتماعي يؤمن بأقلية ابن الأَمة ودونيته أمام ابن السيدة ، والغالب على الظن أنه الأساس الذي في ضوئه تَقَبَل العرب قبل الإسلام الفكرة الكتابية المشاعة ، ولعل ما يعضد ذلك مصطلح (سراقين saraceni) الذي أطلق من قبل اليونان على العرب القاطنين في بادية الشام وطور سيناء حيث رأى أحد الباحثين أن الكلمة ربما كانت تعني عبيد سارة إذا ما قسمت إلى قسمين : (سرا) و(قين)[٢٨] .

وهناك إشارات في التوراة لزواج إبراهيم من هاجر جارية سارة التي هربت وهي حامل من وجه سيدتها بعد خلاف دب بينهما " فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية . على العين التي في طريق شور. " وقد أمرها بالرجوع لسيدتها فأنجبت إسماعيل[٢٩] ، وتقع شور في البرية جنوب فلسطين[٣٠] ، فليس فيها إذن قصة بناء البيت وتداعياتها[٣١] ، بل على العكس منها حيث أفادت أن إسماعيل توفي في قوم أبيه[٣٢] ، وعندما يرد ذكر الإسماعليين في التوراة يرد كأنهم قوم أغراب عنهم وليست لهم صلة قرابة معهم[٣٣] .

أن هذا الأمر مرتبط بمحاولة ترسيخ تصورهم أن النبوة في بني إسرائيل حصرا ، فذكر دروزة " إن اليهود كانوا يزهون على العرب بأن الأنبياء جميعهم إنما كانوا من نسل أبيهم إسحاق"[٣٤]

ويمكن أن ندعم تصورهم المذكور بآيات أخرى تبين أنهم كانوا لا يتمنون أن تكون النبوة في العرب ، وأن تكون فيهم حصرا ، فجاء في آية البقرة (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (البقرة١٠٥)[٣٥] . ويدعمها ما ورد في البقرة أيضا (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) ، حيث كان اليهود في يثرب يتوعدون العرب باقتراب أجل ظهور نبيٍّ سيتمكنون بقيادته من قتل العرب[٣٦] ، وفي سيرة ابن إسحاق ما يعزز ذلك نقلا عن أحد الأنصار قوله " كان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكنا أصحاب وثن . فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : أن نبيا مبعوثا ، الآن قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم ."[٣٧] ، واللافت للنظر أن بعض الأنصار عندما كانوا يُذَكِرون اليهود بما كانوا يتوعدونهم كان بعضهم كسلام بن مشكم النضري يجيب قائلا " ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم "[٣٨] .

إن ما تقدم يمثل التصور الميثولوجي الذي كان راسخا بين العرب آنذاك ، فكيف وما هي الآليات التي أستخدمها القرآن الكريم في إزاحة هذا التصور ودحضه ؟ .

لقد كان عمل الآيات القرآنية مركزا على صعيدين متلازمين ، يتعلق الأول منهما بمثيولوجيا العرب ، أما الثاني فله علاقة بتصورات أهل الكتاب ، ففيما يتعلق بالعرب فقد وجه القرآن الكريم نقدا واضح الدلالة لعقيدة العرب قبله عندما نفى أن تكون ديانتهم سماوية ، كما شكك في قيمة معارفهم ، ويمكن تَبيّن ذلك من تحليل مضمون آية (النجم٢٣) حيث قام التصحيح القرآني على أساس التأكيد أولا على وضعيتها بعبارة (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ)[٣٩] ، أي ابتدعتموها ، وثانيا على نفي سماويتها وإنها ليست من الله (مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)[٤٠] ، والطعن والتشكيك أخيرا في مصادر معرفتهم المبنية على الظن والهوى (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)[٤١] ، كي تكون تمهيدا لوسم عقيدتهم بالضلال (...لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (الأنبياء٥٤) و(إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (الصافات٦٩)[٤٢] .

وكان في الوقت نفسه يطرح تصورا جديدا يقوم بالأساس على مبدأ التوحيد الذي يمكن تلمسه في ثنايا القرآن المكي والمدني على حد سواء ، لذا لا نحتاج للتدليل عليه لكننا سنضرب مثلا بسورة الإخلاص (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١) اللَّهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً

أَحَدٌ(٤) ، وقد عنى التوحيد من بين ما عناه نفي الإلوهية عن الملائكة آلهة العرب ، وأنها ليست شركاء لله في ملكه ، وأنها في مرتبة وجودية أدنى من البشر ، وهذا ما يمكن أن نستلهمه من الرسالة التي يرسلها للمتلقين آنذاك بُعْدِ السجود في قصة آدم عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فأطاعوا أمره باستثناء إبليس الذي رفض وأستكبر[٤٣] .

لقد تعددت الوسائل القرآنية لدحض تصورات العرب فيما يتعلق بقدرة الجن على معرفة ونقل أخبار السماء ، وكان من أول هذه الوسائل بيان أنهم على نوعين مختلفين من حيث السلوك ، منهم المسلمون الأخيار والظالمون الأشرار مثلما جاء في بعض آيات سورة الجن (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً(١١) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً(١٥) . وأن قسما منهم كان مصدرا لضلال الإنسان[٤٤] ، فمثلما كان العرب يؤمنون بالقرناء من الجن يبين التعديل القرآني بأنهم كانوا من الشياطين (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (الزخرف٣٦) ، وعلى هذا الأساس نلاحظ أن القرآن أستخدم رمزية الشيطان المرتبطة في أذهان المتلقين آنذاك بالأمر البعيد الملتوي الأعوج ليُضعِف به اعتقادهم بالجن مرجعا لتصوراتهم الغيبية من اجل ترسيخ فكرة مناقضة في أذهانهم بضلال عقيدتهم وبطلانها . فضلا عن ذلك كانت كثير من الآيات القرآنية ترسل للمتلقين آنذاك بإشارات ذات رسائل قوية الدلالة على أفضلية الإنسان على الجن من خلال الآيات التي تتحدث عن تسخيرهم لخدمة نبي الله سليمان (...وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)[٤٥] .

كما عمل القرآن الكريم على نسف تصورات العرب بخصوص قدرة الجن على معرفة خبر السماء من خلال تصوير السماء كأنها قلعة حصينة لا يمكن للجن اختراقها بواسطة استخدام وسائل عديدة منها : الحراسة المشددة مثلما جاء في آية الجن على لسان الجن أنفسهم(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا(٨) ، وملأها بالبروج من اجل الرصد والمراقبة فورد في سورة الحجر (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (الحجر١٨) ، التي تكررت في أكثر من سورة[٤٦] مما يدلل على عمق هذا التصور في العقلية العربية آنذاك ، وتزيّن السماء وأنارتها بمصابيح تكشف من يقترب من الجن لاستراق الأخبار فجاء في آية فصلت (...وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(١٢) ، وتستخدم لرجمهم أيضا (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ(الملك٥) ، ، كما تم التأكيد

على خلو السماء من الشقوق والصدوع التي يمكن أن تتسرب منها الأخبار ، فذكرت آية الملك (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ(٣) ، وبهذه الوسائل تم عزل الجن نهائيا عن معرفة أخبار السماء مثلما نصت عليه آية الشعراء (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) ، وقد تحداهم القرآن الكريم قائلا : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ(الرحمن٣٣) .

وفي هذا السياق ينبغي أن تُفهم طبيعة الشِفرة التي كانت تحملها قصة موت نبي الله سليمان ولاسيما خاتمتها التي أكدت على عدم معرفتهم بالغيب (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (سبأ١٤) . كما أن تأكيد صدق نبوة محمد(ص) على لسان الجن يعد خطابا ذو سمة تأثيرية على المتلقين العرب آنذاك يصب في الموضوع نفسه ، فجاء على لسان الجن قولهم بعد استماعهم للقرآن (... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً(١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً(٢)[٤٧] .

وفي الوقت الذي كانت فيه الآيات القرآنية تدحض قدرة الجن على معرفة ونقل أخبار السماء ، فأن آيات أخرى أكدت على أن العناية الإلهية لا تطلع أي كان على الغيب إلا من يحظى برضاها وقبولها (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً(الجن٢٧) ، وقدمت البديل لنقل الوحي عن طريق الملائكة التي كانت من منظور قرآني أدوات مطيعة ومخلصة للعناية الإلهية تخدم وتعمل وفقا لما تؤمر به كنقيض للشياطين ، لذلك كانوا حملة للوحي بحسب منطوق آية القدر (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ(٤) ، وكانت الحلقة الأخيرة في نقل الوحي إلى الناس هو النبي[٤٨] الذي حل محل الكهنة في أداء هذه المهمة لذلك أخلت النبوة بمثيولوجيا العرب ، فكان من الطبيعي أن يتولد لديهم رفضٌ لنبوة البشر (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (يس١٥)[٤٩] ، لذلك كان هناك تأكيد قرآني على بشرية الأنبياء السابقين (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ... (يوسف١٠٩)[٥٠] ، كما طالبوا بنزول الملائكة (إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (فصلت١٤) (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (الأنعام٩)[٥١] .

وقد تحدى القرآن الكريم كلا من الجن والكهنة بتقليد القرآن والإتيان بمثله قائلا (... لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء٨٨)[٥٢] .

وإذا كانت الآيات القرآنية قد عملت على زعزعت ميثولوجيا العرب قبل الإسلام فأنها ومن أجل أكمال إزاحتها نهائيا ، فأنها عملت على تحطيم عقيدة أهل الكتاب التي تروج لحكر النبوة في بني إسرائيل ، حيث يتفق القرآن الكريم مع التوراة في أن إسماعيل وإسحاق أبنيّ نبي الله إبراهيم ، وقد أشارت بعض الآيات القرآنية لانتساب العرب لنبي الله إبراهيم (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(إبراهيم٣٧)[٥٣] ، ويبدو أن القرآن الكريم يطرح الأبوة دينيا وعرقيا على حد سواء كتمهيد لمشروعية ظهور النبوة في العرب ، للرد على المشركين العرب وعلى أهل الكتاب على حد سواء ، ومن أجل إثبات صحة نبوة النبي محمد(ص) . وقد ذكر جواد علي رأيا جديرا بالاستشهاد فقد " نُسب إلى علي وابن عباس قولهما أن قريشا هي من النبط من أهل كوثى ، وإذا صح هذا القول هو منهما حقا ، فإن ذلك يدل على أنهما قصدا بالنبط (نبايوت: وهو ابن إسماعيل في التوراة . وأما كوثى فقصدا بذلك موطن إبراهيم وهو من أهل العراق على رواية التوراة أيضا "[٥٤] .

وعن موضوع معرفة العرب بانتسابهم لإبراهيم كتب دروزة قائلا " ويستدل بعضهم على هذا بأن القرآن المكي ظل يذكر إبراهيم واسحق ويعقوب معا دون إسماعيل وظل يذكر إسماعيل منفردا عنهم . وقد يكون هذا صحيحا بعض الشيء "[٥٥] ، ولكن عدم تأكيد القرآن أو جمعه معهم دائما في الآيات المكية قد يدلل على عكس ما تقدم لأنه يعني ببساطة أنه لم تكن هناك مشكلة مطروحة في أذهان العرب بهذا الخصوص كي يرد القرآن الكريم عليها فلم تكن المشكلة في إثبات بنوة إسماعيل لإبراهيم وقد ورد ذكرهما معا في آية إبراهيم (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء(٣٩) ، بل أن المشكلة التي واجهها تتمثل بالشك في نبوة إسماعيل على ما يظهر لذلك كان التأكيد القرآني عليها أكثر .

ويمكن أن نسوق دليلا على مصداقية ذلك من حجم الآيات الموظفة لكلا الغرضين ، فينبغي أن نعرف أن هناك تناسبا طرديا بين خطورة وأهمية المشكلة والمساحة القرآنية المخصصة لها ، فحقا إن القرآن المكي لم يجمع إسماعيل وإسحاق إلا في آية واحدة هي آية إبراهيم المذكورة سابقا . ولكن ضمن هذه الحالة علينا أن نفرق بين آيات يرد فيها ذكر إسحاق وليس في السورة ما يشير لإسماعيل من بعيد أو قريب[٥٦] ، وحالة أخرى يرد فيها ذكر إسماعيل مع إسحاق في نفس

السورة ولكن ليسا في نفس الآية ، وخير مثال على ذلك سورة ص (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ(٤٥) ، (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ(٤٨)[٥٧] وهي في عددها موازية للحالة الأولى .

أما في القرآن المدني فهناك آيتان يرد فيهما ذكر إسماعيل مع إبراهيم في قصة بناء البيت[٥٨] كحدث أقتصر عليهما ، ولكن إسماعيل وإسحاق يردان سويا في بقية الآيات كامتداد نسبي لإبراهيم (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (البقرة١٣٣)[٥٩] ، وهنا علينا أن نقرأ دلالة التغاير بين الطرحين المكي والمدني بهذا الخصوص ، الذي أملته على ما يظهر ظروف صراع الدين الجديد مع اليهود في المرحلة المدنية ، ولكن جوهر الرسالة التي حملتها الآيات في كلا المرحلتين واحدة ألا وهي التأكيد على نبوة إسماعيل وأنه مناظر من حيث المنزلة لإسحاق ، مناقضا الطرح التوراتي بهذا الخصوص ، فمن أجل كسر احتكار أهل الكتاب للنبوة كان على القرآن الكريم أن يؤكد على نبوة إسماعيل ، لذلك نصت بعض الآيات صراحة على أنه كان رسولا نبيا مثلما ورد في آية مريم (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا(مريم٥٤) ، وقد ظهر في بعض الآيات المكية والمدنية كنبي مثله مثل إسحق[٦٠] .

ومن نافلة القول إن حِجاج أهل الكتاب حول نبي الله إبراهيم مثلما سجلته أكثر من آية مدنية (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(آل عمران٦٧)[٦١] يعكس ما ترسخ في أذهان اليهود والنصارى بأنهم الامتداد الطبيعي له ، وقد جاء في سياق معالجة نقطة حساسة تتعلق بتجذير الدين الجديدة لنبي الله إبراهيم وهي تكشف في الوقت ذاته عن محاولة حكر اليهود والنصارى لهذه المشروعية عليهم كعقيدة ، فيما يمكن أن نسميه بالصراع على المشروعية آنذاك ، والتأكيد على أفضليتهم الدينية على العرب آنذاك وللإبقاء على فوقيتهم العرقية ، لأن هذا الأمر مرتبط بمحاولة ترسيخ تصورهم أن النبوة في بني إسرائيل حصرا .

يمكن تلخيص كل ما تقدم بالجدول الآتي الذي يعقد مقارنة بين سلسلة نقل الخبر السماوي بين منظومتين تصوريتين أحدهما قبل الإسلام والأخرى بعده كي نتلمس أثره على قيام بعض الكهنة بقيادة حركات الردة :

ت	التصور العربي قبل الإسلام	التصور القرآني
١	الله والملائكة (آلهة)	الله

٢	الجن	الملائكة
٣	الكهنة	النبي
٤	الناس	الناس

أن نجاح النبي محمد(ص) في أقامة دعائم دولة عربية إسلامية استنادا لمفهوم النبوة حفز كثير من الكهنة نحو لعب دور مماثل مستغلين النجاح الذي حققه في ترسيخ فكرة جواز النبوة بين العرب أولا وتأثيرهم القوي على أبناء مجتمع لم يتشبع بعد بقيم الدين الجديد بحسب آية الحجرات حيث (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...(١٤) .

يتبين من غربلة المادة التاريخية المتوفرة عن زعماء الردة أن المصادر أجمعت على كونهم من الكهنة[٦٢] الذين حاولوا إضفاء صفة النبوة على أنفسهم مستثمرين النجاح الذي حققه النبي محمد في تثبيت جواز النبوة في العرب على عكس التصور الذي كان سائدا قبله ، ولهذا نجدهم يحاولون قدر المستطاع محاكاة التجربة المحمدية ، فقد أدعوا أن لهم ملكا يأتيهم بالوحي فكان مسيلمة بن حبيب الحنفي يقول : " أنا شريك محمد في النبوة وجبريل عليه السلام ينزل عليّ كما ينزل عليه "[٦٣] ، أما سجاح فقد " جعلت ذلك الرئى ملكا حتى ادعت النبوة بعد موت النبي"[٦٤] ، بينما نفهم من سؤال عيينة بن حصن الفزاري لطليحة بن خويلد الأسدي هل أتاك جبريل[٦٥] بأنه كان يقول للناس بأن جبريل يأتيه بالوحي . أما عبهلة بن كعب المعروف بالأسود العنسي فقد ذكر الطبري أنه كان معه شيطان[٦٦] ، ولكن الأقرب للمنطق أن الأسود العنسي لم يكن يسميه شيطانا بل ملاكا .

حتى أن البعض منهم كان يقوم ويؤدي نفس الشعائر التي كان يؤديها المسلمون مع النبي محمد مع أجراء بعض التعديلات عليها في محاولة منهم لإضفاء المشروعية على حركاتهم بغية الوصول لأهدافهم ، فقد كان لسجاح مؤذنها ألا وهو شبث بن ربعي الرياحي[٦٧] ، بينما كان عبد الله بن النواحة مؤذنا لمسيلمة[٦٨] ، لا بل أن مسيلمة كان يأمر مؤذنه في الآذان بأن يشهد بأن محمدا رسول الله قبل أن يأتي على ذكر نفسه فيه[٦٩] .

ومن جهة أخرى حفظت لنا المصادر أقوالهم . باستثناء الأسود العنسي . التي تحاول تقليد الآيات القرآنية رغم اختلافها في الشكل والمضمون ، ورغم تشكيك العمد في السجع الذي تذكره المصادر عن المتنبئين[٧٠] إلا أنها تدلل من حيث العموم على محاولاتهم تقليد القرآن الكريم أو أيجاد قرآن خاص بهم فقد ذُكِر أن الخليفة أبا بكر (رض) سأل بني حنيفة عن قرآن مسيلمة[٧١]

وكان يقصد سجعه وأقواله ، إلا أنها تشير لاحتمال غير مستبعد أن يكون مسيلمة قد أطلق هذه التسمية على أقواله ، خاصة أن أكثر الأقوال المذكورة في المصادر هي له ، وربما يعود الأمر ويدلل في الوقت ذاته على قوة حركته قياسا بحركتيّ سجاح وطليحة بن خويلد ، وهذا أمر واضح من دراسة المصادر التاريخية .

وقد سجلت المصادر بعض أقوال سجاح التي أدعت أنها أنزلت عليها :

" يأيها المؤمنون المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يبغون "[٧٢] .

" عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة فإنها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة "[٧٣] .

" أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب "[٧٤] .

أما طليحة فقد أُثِرت عنه بعض الأقوال :

" إن لك رحا كرحاه وحديثا لا تنساه "[٧٥] .

" والحمام واليمام والصرد الصوام قد ضمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام "[٧٦] .

" أمرت أن تصنعوا رحا ذات عرى يرمى الله بها من رمى يهوى عليها من هوى "[٧٧] .

" ابعثوا فارسين على فرسين أدهمين من بنى نصر بن قعين يأتيانكم بعين "[٧٨] .

ولكن حصة الأسد من تلك الأسجاع فكانت لمسيلمة بن حبيب الحنفي الذي يتضح أن هناك أقوالا تحاول جاهدة محاكاة الآيات القرآنية في موضوعاتها مثل :

" فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نطفة تسعى بين صفاق وحشا من بين ذكر وأنثى وأموات وأحيا ثم إلى ربهم يكون المنتهى "[٧٩]

" والشمس وضحاها في ضوئها ومنجلاها والليل إذا عداها يطلبها ليغشاها فأدركها حتى أتاها وأطفأ نورها فمحاها " .

" سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى من بين أحشاء ومعى فمنهم من يموت ويدس في الثرى ومنهم من يعيش ويبقى إلى أجل ومنتهى والله يعلم السر وأخفى ولا تخفى عليه الآخرة والأولى "

" أذكروا نعمة الله عليكم واشكروها إذ جعل لكم الشمس سراجا والغيث ثجاجا وجعل لكم كباشا ونعاجا وفضة وزجاجا وذهبا وديباجا ومن نعمته عليكم أن أخرج لكم من الأرض رمانا وعنبا وريحانا وحنطة وزوانا "[٨٠] .

"سمع الله لمن سمع وأطمعه بالخير إذ طمع ولا زال أمره في كل ما سر نفسه يجتمع رآكم ربكم فحياكم ومن وحشة خلاكم ويوم دينه أنجاكم فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار لا أشقياء ولا فجار يقومون الليل ويصومون النهار لربكم الكبار رب الغيوم والأمطار " .

" لما رأيت وجوههم حسنت وأبشارهم صفت وأيديهم طفلت قلت لهم لا النساء تأتون ولا الخمر تشربون ولكنكم معشر أبرار تصومون يوما وتكلفون يوما فسبحان الله إذا جاءت الحياة كيف تحيون وإلى ملك السماء ترقون فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور وأكثر الناس فيها الثبور "[٨١] .

" إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر "[٨٢] .

بينما كانت هناك أقوال عادية شبيهة بأقوال سجاح وطليحة مثل :

" أن الله خلق النساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن قعسا إيلاجا ثم نخرجها إذا نشاء اخراجا فينتجن لنا سخالا إنتاجا "[٨٣] .

" والليل الاطحم والذئب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت أسيد من محرم "[٨٤] .

" والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس "[٨٥] .

" إن بنى تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا إتاوة نجاورهم ما حيينا بإحسان نمنعهم من كل إنسان فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن " .

" والشآء وألوانها وأعجبها السود وألبانها والشاة السوداء واللبن الابيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فمالكم لا تمجعون "[٨٦] .

" يا ضفدع ابنة ضفدع نقى ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين "[٨٧] .

" والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما إهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغى فناوؤه "[٨٨]

أما فيما يتعلق بالجانب التشريعي فلم تورد المصادر إلا بعض الأحكام التي أصدرها مسيلمة دون غيره ، والغالب عليها أنها عبارة عن إسقاط بعض الفروض التي أوجبتها الآيات القرآنية ، فقد أسقط صلاة العصر عن أتباعه بعد زواجه من سجاح في رواية[٨٩] ، أو صلاة العشاء والفجر في رواية ثانية[٩٠] ، كما أحل لهم الخمر والزنا[٩١] ، الأمر الذي يتعارض مع أقواله المذكورة سابقا .

فضلا عن ذلك حاول مسيلمة تقليد النبي محمد (ص) في بعض أفعاله مثل مباركة المواليد الجدد ، والدعاء للمرضى[٩٢] والمزارعين بأن تجيش آبارهم وتحمل نخيلهم مستجيبا لمطالب الناس بهذا الخصوص ، وكان يسأل أتباعهم ممن لديهم معرفة بأخبار النبي محمد(ص) عن كيفية قيامه بذلك ، مثلا أنه " قال كيف صنع بالآبار ، قال دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض بفم منه ثم مجه فيه فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار ثم سقوه نخلهم ..." ثم دعا بدلو آخر لغيرهم " فدعاهم فيه ثم تمضمض منه ثم مج فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم "[٩٣].

وخلاصة القول أن مجرد محاولة المتنبئين تقليد النبي محمد(ص) والقرآن الكريم ليحمل دلالة على صحة استثمارهم للتغير الذي أحدثه القرآن الكريم في البنية التصورية العربية من خلال مفهوم النبوة كبديل أكثر سموا وأعلى منزلة تمكن من إزاحة الكهانة ، لكنه في الوقت ذاته فتح الباب أما بعض الكهان لادعاء النبوة .

وختاما يمكن القول : حقا كانت هناك دوافع عديدة لحركات الردة التي حدثت في نهاية عصر النبوة مثل ضعف الإيمان ، والعصبية القبلية والنزعة التمردية وعدم الرغبة بالخضوع للدولة المركزية ، والتحلل من الالتزامات المالية ، لكن هناك عامل لا يقل أهمية عن هذه العوامل ألا وهو التغير الميثولوجي الذي مثل الغطاء الآيدلوجي الذي أباح للكهنة أدعاء النبوة ، لذا نتمنى أن يأخذ هذا العامل مكانه الطبيعي في تفسير دوافع حركات الردة .

الهوامش

[١] - علي غانم ، بيئة النبي في القرآن الكريم ، ١٥٤- ١٥٧ .

[٢] - نقصد بها المنظومة التصورية للإنسان عن الوجود في حقبة زمنية محددة تمثل مرجعيته التي على أساسها أو في ضوئها يرى الوجود ويقيم الأشياء والأحداث والتصورات الجديدة المطروحة .

[٣] - ينظر : يس٦ ؛ السجدة٣ .

[٤] - الطبري ، جامع البيان ، ٢٩/ ١١٠ ؛ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١١/١٩ .

[٥] - علي غانم ، بيئة النبي ، ١٩٦-١٩٧ .

[٦] - ينظر أيضا : الأسراء٤٠ ؛ الزخرف١٦ .
[٧] - الفراهيدي ، العين ، ١٦٣/٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٤٦٣/١٤ .
[٨] - الفراهيدي ، العين ، ٢١/٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٩٢/١٣-٩٤ .
[٩] - ينظر أيضا : الشعراء ٢١٢ ، ٢٢٣ ، الحجر١٨ ، الصافات٨-١٠ ، الطور٣٨ ، الرحمن٣٣ .

[١٠] - لسان العرب ، ٣٦٣/١٣ .
[١١] - ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٦٣/١٣ ؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، ٣٠٥/٦ .
[١٢] - الطبري ، جامع البيان ، ١٢٥/١٩؛ القرطبي ، الجامع ، ١٤٥/١٣ .
[١٣] - ابن منظور ، لسان العرب ٤٩٨/٣ ؛ ينظر : الفراهيدي ، العين ٢٢٩/٢ .
[١٤] - صحيح البخاري ، ١١٧٥/٣ .
[١٥] - القرطبي ، الجامع ، ١٠/١٠ .
[١٦] - التي ذكرت المصادر أنها نزلت إما في مسيلمة أو عبد الله بن سعد بن أبي سرح ينظر : الطبري ، جامع البيان ، ٣٥٤/٧ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ١١١/٤- ١١٢ ، ولكن يبدو لي أنها تتحدث عن أمر أكثر عمومية وأوسع أهمية أي عن ظاهرة الكهانة ، فمن لديه القدرة على تقليد القرآن ومحاكاته سوى الكهنة ، ومما يدعم ذلك أن الردة اقترنت بمحاولات زعمائها تقليد القرآن الكريم ، فذكرت لهم المصادر التاريخية أقوالا مسجوعة طُرِحت من قبلهم على أنها من وحي السماء ، ينظر : القسم الأخير من البحث .
[١٧] - الطبري، جامع البيان ، ٦/٨ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ١٤٠/٤ ؛ القرطبي ، ، ٦٧/٧ .
[١٨] - وقد ذكر القرطبي أن " استمتاع الجن بالأنس فما كانوا يلقون أليهم من الأراجيف والكهانة والسحر" ، ٨٤/٧ ؛ ينظر : الطبري، جامع البيان ، ٤٤/٨-٤٥ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ١٦١/٤ .
[١٩] - سيرة ابن إسحاق ١٤ .
[٢٠] - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧٦/١ .
[٢١] - ابن هشام ، السيرة النبوية ٢٧٣/٢ .
[٢٢] - ابن حبيب ، المنمق ، ١٠٩-١١٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٦٨/٧٠ .
[٢٣] - ابن هشام ، السيرة النبوية١٢٤/١ .
[٢٤] - ابن هشام ، السيرة النبوية ١٥٤/٣ .
[٢٥] - الطبرسي ، مجمع ١٧٨/١٠ ؛ ينظر : الطبري ، جامع ١٥٧/٢٩ ؛ أبن هشام ، السيرة النبوية ، ١٠٥/٢- ١٠٦ .
[٢٦] - الطبري ، جامع البيان ، ٨٣/٢٥ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ٧٨/٩-٧٩ .
[٢٧] - التوراة ، التكوين ٢٠/١٧-٢١ .
[٢٨] - جواد علي ، المفصل ٢٦/١-٢٨ .
[٢٩]- التوراة، التكوين ٧/١٦.
[٣٠]- قاموس الكتاب المقدس ٥٢٨ .
[٣١]- التوراة، التكوين١٨/١٧، ٢٠، ٢٣-٢٦ ؛ ٩/٢٥ ، ١٢؛ قاموس الكتاب المقدس ٧٤ .
[٣٢]- التوراة،التكوين ١٦/٢٥ -١٧.
[٣٣]- التوراة، التكوين ٢٥/٣٧-٢٨، ١/٣٩.
[٣٤] - عصر النبي ٧٣٢ .
[٣٥] - البقرة١٠٩؛يراجع عن تفسيرها : الطبري، جامع البيان ، ٦٣٣/١-٦٦٤؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ٣٣٧/١ ؛ ينظر أيضا : آل عمران٧٣-٧٤، النساء٥٤،الحديد٢٩،الجمعة٤،المائدة٦٨ .
[٣٦] - الطبري ، جامع ، ١٤٠/١ ؛ الطبرسي ، مجمع ، ٢٩٩/١ .
[٣٧] - سيرة ابن إسحاق ٦٣ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٧/٢ .
[٣٨] - تفسير الطبري٤١١/١ .
[٣٩] - ينظر أيضا : الأعراف٧١، يوسف٤٠ .
[٤٠] - ينظر أيضا : الأعراف٣٣، ٧١،يونس٦٨، يوسف٤٠، الأنعام ٨١،الصافات١٥٦، غافر٣٥، ٥٦، الطور ٣٨ ، الروم٣٥، الرحمن٣٣،آل عمران١٥١،الحج٧١ .
[٤١] - ينظر أيضا : النجم٢٨، يوسف٣٦، ٦٦، الأنعام١١٦، ١٤٨
[٤٢] - ينظر أيضا : الشعراء٧٦، الصافات٧١،لقمان٢١، الزخرف٢٤،
[٤٣] - ينظر أيضا : ص٧١-٧٢ ؛ الأعراف ٦١؛ طه٢٩-٣٢ ؛ الإسراء ١١-١٢ ؛ الحجر ١١٦؛ الكهف٥٠.
[٤٤] - ينظر أيضا : يس٦٢؛ الفرقان٣٦؛ طه١٢٠؛ الأنعام٤٣؛ الصافات٣٢؛ سبأ٤١؛ الحج٥٢؛ المجادلة١٩؛ المائدة٩١ .
[٤٥] - ينظر أيضا : ص٣٧-٣٨ ؛ النمل٣٩ ؛ الأنبياء ٨٢ .
[٤٦] - ينظر أيضا : الجن ٩ ؛ الصافات٦-١٠ ؛ الرحمن٣٣-٣٥. .
[٤٧] - ينظر أيضا : الجن١٣؛ الأحقاف ٢٩-٣٢ .

[٤٨] - ينظر أيضا : فاطر٣١؛ الإسراء٧٣؛ يونس٢؛ يوسف٣؛ الشورى٧، ١٣، ٥٢؛ النحل١٢٣؛ النساء١٦٣ .
[٤٩] - ينظر أيضا : ق٢؛ ص٤؛ الإسراء٩٤؛ يونس٢؛ هود٢٧؛ الأنعام٩١،النحل٤٣؛ إبراهيم١٠-١١؛ الأنبياء ٧، ٣، المؤمنون٢٤، ٣٣-٣٤، ٤٧ ؛ التغابن٦ .
[٥٠] - ينظر أيضا : الأحقاف٩ .
[٥١] - ينظر أيضا : الزخرف٦٠،المؤمنون٢٤.
[٥٢] - القرطبي ، الجامع ، ١٢/٩ .
[٥٣] - ينظر أيضا : الحج ٧٨ .
[٥٤] - المفصل ٢٥/٤-٢٦ ؛ ينظر : التوراة ، التكوين ١٣/٢٥ .
[٥٥] - دروزة ، عصر النبي ٥٦ .
[٥٦] - هود٧١ ، يوسف ٦، ٣٨ ، العنكبوت ٢٧، الصافات ١١٢-١١٣ .
[٥٧] - ص ٤٥ تقارن مع ٤٨ ؛ مريم٤٩ تقارن مع ٥٤ ؛ الأنعام ٨٤ تقارن مع ٨٦ ؛ الأنبياء ٧٢ تقارن مع٨٥.
[٥٨] - البقرة ١٢٥، ١٢٧ .
[٥٩] - ينظر أيضا : البقرة ١٣٦، ١٤٠ ، آل عمران ٨٤ ، النساء ١٦٣ .
[٦٠] - ينظر أيضا : ص ٤٨، الأنعام ٨٦، الأنبياء ٨٥، البقرة ١٣٦، آل عمران ٨٤، النساء ١٦٣ .
[٦١] - الطبرسي ، مجمع البيان ، ٣١٦/٢ ؛ ينظر : البقرة١٤٠، آل عمران ٦٥- ٦٨ .
[٦٢] - الجاحظ ، البيان والتبين ،١٩٠/١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٧٠/٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٦/١، ٣١٥ .
[٦٣] - الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٦/١؛ وفي رواية أخرى سمى من يأتيه بالوحي رحمن ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٨/٢ .
[٦٤] - الثعالبي ، ثمار القلوب ، ٣١٥/١ .
[٦٥] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٨٥/٢ ؛ بينما سماه حبال بن خويلد بذي النون في رواية أخرى ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٣١/٢ .
[٦٦] - تاريخ الرسل ، ٤٧٠/٢ .
[٦٧] - ابو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ١٠/ ٣٨ .
[٦٨] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ .
[٦٩] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ .
[٧٠] - أحسان صدقي ، حركة مسيلمة الحنفي ، ٣٦-٤٠ ؛ نقلا عن : العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، ٣٩٩ .
[٧١] - اتفاق المباني وأفتراق المعاني ، ٢٣٢/١ ؛ ينظر : الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٧/١ .
[٧٢] - أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ١٠/ ٣٨ .
[٧٣] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٩٨/٢ ؛ أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ١٠/ ٣٨ .
[٧٤] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٩٧/٢ ؛ ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ١١٨/١ .
[٧٥] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٨٥/٢ .
[٧٦] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٨٩/٢ .
[٧٧] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٨٩/٢ .
[٧٨] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٨٩/٢ .
[٧٩] - أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ٣٩/١٠ ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣٩٤/٢ .
[٨٠] - الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٧/١ .
[٨١] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٩٨/٢- ٤٩٩ .
[٨٢] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٢٩٠/١ .
[٨٣] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٩٩/٢ ؛ أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ١٠/ ٣٩.
[٨٤] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ .
[٨٥] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ ؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الأثر ، ٢٧٣/٥ .
[٨٦] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ .
[٨٧] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٩/١.
[٨٨] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٦/٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٩/١.
[٨٩] - أبو الفرج الأصبهاني ، الأغاني ، ١٠/ ٤٠ .
[٩٠] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٤٩٩/٢ .
[٩١] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣٩٤/٢ .
[٩٢] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٧/٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٤٩/١ .
[٩٣] - الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٠٧/٢ ؛ والسجل هو الدلو الضخمة المملوءة ماء ؛ ينظر : الفراهيدي ، العين ، ٥٣/٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٢٥/١١ .

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. التوراة .

ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م .

٣. النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، في خمس أجزاء .

ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، ت١٥١هـ/٧٦٩م .

٤. سيرة ابن إسحق ، تحقيق محمد حميد الله ، المغرب ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ، ت٢٥٦هـ/٨٦٩م .

٥. صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، بيروت١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، الطبعة الثالثة ، في ست أجزاء .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م .

٦. فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

تقي الدين المصري ، أبو الربيع سليمان بن بنين ، ت٦١٤هـ/١٢١٧م.

٧. اتفاق المباني وافتراق المعاني ، تحقيق يحيى عبد الرؤوف ، عمان ، ١٩٨٥م ، ط١ .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م .

٨. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح محمد أبو الفضل ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الأولى .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/).

٩. البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، دار الفكر .

جثير ، علي غانم

١٠. بيئة النبي في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشور ، جامعة البصرة – كلية الآداب– قسم التاريخ ، ٢٠٠٦ .

الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) .

١١. دلائل الإعجاز ، تح محمد التنجي ، بيروت ، ١٩٩٥م ، الطبعة الأولى .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، ت٢٤٥هـ/٨٥٩ م .

١٢. المنمق في أخبار قريش ، تصحيح خورشيد أحمد فاروق ، ١٩٦٤م ، نسخة عالم الكتب .

دروزة ، محمد عزة .

١٣. عصر النبي (ع) وبيئته قبل البعثة ، بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، الطبعة الثانية .

ابن سعد ، محمد بن سعد البصري ، ت٢٣٠هـ/٨٤٤م .

١٤. الطبقات الكبرى ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، في ثمان أجزاء .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ت٣١٠هـ/٩٢٢م .

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، نسخة دار الفكر ، في ثلاثين جزءاً .

١٦. تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، الطبعة الأولى ، في خمس أجزاء .

الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م .

١٧. مجمع البيان في تفسير القرآن ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، الطبعة الأولى ، في عشر أجزاء .

الطريحي ، فخر الدين بن محمد بن علي ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م .

١٨. مجمع البحرين ومطلع النيرين ، تحقيق أحمد الحسيني ، النجف ١٣٨٦هـ ، الطبعة الأولى .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، ت٥٧١هـ/١١٧٥ م .

١٩. تاريخ دمشق الكبير ، تح أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ، في أربع وسبعين جزءاً .

علي ، جواد .
٢٠. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بغداد ، نسخة جامعة بغداد ، د . ت . في تسع أجزاء .
العمري ، أكرم ضياء
٢١. عصر الخلافة الراشدة ، المدينة المنورة ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٤هـ .
الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد ، ت ١٧٥هـ/٧٩١م .
٢٢. العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، بغداد١٩٨٢ ، في ثمان أجزاء.
أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ، ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م .
٢٣. الأغاني ، بيروت ، د.ت ، الطبعة الثانية ، في أربع وعشرين جزءاً .
٢٤. قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ط٦ .
القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ت٦٧١هـ/١٢٧٢م .
٢٥. الجامع لأحكام القرآن ، بيروت ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي ، في عشرين جزءاً.
ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، ت٧١١هـ/١٣١١م .
٢٦. لسان العرب ، بيروت ، د. ت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، في خمس عشرة جزءاً.
ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحميري ، ت٢١٨هـ/٨٣٣م .
٢٧. السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد ، بيروت ، ١٤١١هـ ، الطبعة الأولى ، في ست أجزاء .